مجلة العلوم الاجتماعية
المجلد 17 / العـدد 03 (خاص) / 2023 / ص ص 65 - 79
Journal home page: http://journals.lagh-univ.dz/index.php/ssj
ASJP: https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/305

الأكلات السريعة وتمثلات الصحة والجسد، أية علاقة؟ دراسة ميدانية لعينة من ساكنة مدينة سيدي بلعباس

Fast food and representations of health, body, what relationship? A field study with a sample of inhabitants of the city of Sidi Bel Abbes

وهيبة مهيدة [1] ، زاوي فكروني [2]
1 جامعة سيدي بلعباس (الجزائر) ، hyppathie@gmail.com
2 جامعة سيدي بلعباس (الجزائر) ، zaoui.fekrouni@univ-sba.dz

تاريخ إنعقاد الملتقى: 2023/02/21 تاريخ النشر: 2023/11/15

ملخص:
الملاحظ اليوم أن النمط الغذائي للجزائريين شهد عدة تغيرات، وان كانت تندرج ضمن التغير الاجتماعي والثقافي للمجتمع ككل، ولعل أهمها ما مس مسائل الأكل وسجلاته، الطبخ وتقنياته، الذوق ومحدداته، والتغذية وعاداتها وأشكال ممارستها...باختصار لقد تغيرت رمزية ووظيفية الأكل التي طالما أكد الانثربولوجين بدرجة أكبر والسوسيولوجين بدرجة أقل على أهميتها في تشكيل السمات والخصوصيات الثقافية المميزة للمجتمعات على اختلاف درجة تطورها. لقد أصبح الغذاء صناعة لها آلياتها ونظامها الذي لا يتماشى بالضرورة مع رمزية وطقوسية الغذاء، وبتالي يتنافى مع ماهيته ودلالاته الاجتماعية والثقافية.

وعليه فهدف المقال هو تقديم عناصر لتفكير سوسيولوجي مغاير، قد يمنح فهم أكبر لتمثلات العينة المدروسة لطبيعة الرابط الموجود بين التغذية والجسد والصحة، فبالرغم من أن مفهوم الغذاء هو نتاج اجتماعي وثقافي إلا أنه في نفس الوقت هو مجال ممكنات الفرد. من خلال فهمهم وتمثلهم للغذاء / الجسد والصحة.

كلمات مفتاحية: الطعام، التمثلات، الاكراهات الاجتماعية، الأكلات السريعة، الجسد الصحة.

ABSTRACT:
It is noted nowadays that the nutrition pattern has underwent several changes, which is part of the social and cultural change of society as a whole. Perhaps the most important of them is what touches on food issues and its records, cooking and its techniques, taste and its determinants, nutrition and its habits and forms of its practice... etc. In short, the symbolism and function of eating has changed and which has long been emphasized by anthropologists to a greater degree, and sociologists to a lesser extent on its importance in shaping the cultural characteristics and peculiarities of societies at different levels of development. Nutrition has become an industry with its own mechanisms and system, which are not necessarily in line with the symbolism and rituals of nutrition, thus, it is inconsistent with its social and cultural significance.

Therefore, the aim of the article is to present elements of a different sociological thinking, which may give a greater understanding of the representations of the studied sample of the nature of the link between nutrition and the body. Although the concept of nutrition is a social and cultural product, it is at the same time a field of individual possibilities through their understanding and representation of nutrition and the body.

Keywords: Food, representations, social constraints, fast food, health, body

1- مقدمة:

تمثل الممارسات الغذائية، إحدى أكثر الممارسات الثقافية المجسدة لنمط حياة جماعة / مجتمع، فهي تعبير عن نموذج الثقافة المميز لها (Agbessi,1987. P.03). لأن الطعام وما يرتبط به من معتقدات وممارسات وتقنيات هو مرآة صادقة لثقافة المجتمع ورؤيته للعالم، حيث صار ينظر إلى الممارسات الغذائية للمجتمع بوصفها مكرسا لتقطيعات اجتماعية، إثنية، وثقافية، مما مهد السبيل لإعادة اكتشاف تمظهرات الثابت والمتغير في المجتمع.

وإذا كان الحديث عن مظاهر الثابت والمتغير في الجزائر، فإن تمظهرات الطعام والتغذية تكون لها دلالات مضاعفة، وتكون مؤشراتها أكثر تعبيرا عن اوجه التغير التي عرفها المجتمع الجزائري تبعا لارتباطها المباشر وغير المباشر بمسائل الهوية، الصحة العامة، التنمية، القدرة الشرائية وغيرها من المسائل التي باتت تجعل من الغذاء محورا ورابط لها. فمثلا بينت العديد من التقارير الإحصائية الجهوية الخاصة بشمال إفريقيا، أن السمنة في شكلها المرضي قدرت بـ 27.40 % سنة 2022 بعدما كانت 21.24 % سنة 2021 من 55.6 % من مجموع البالغين 35 – 70 سنة. وهي مرجحة للزيادة تبعا للتغيرات الجذرية التي مست العادات والممارسات الغذائية ((Méditerra, 2021.P. 84. كما بينت تحقيقات المعهد الوطني للصحة العمومية لسنة 2021 أن نسبة الأمراض القلبية (ارتفاع الضغط) تقدر بـ 22.5 %ومرض السكري بـ 6.9 % (.(INSP, 2021.P. 11كما بين تقرير وزارة الصحة الجزائرية سنة 2022 أن النسبة الإجمالية للمصابين بالسمنة لدى الفئة ما بين 18 و69 سنة في الجزائر بلغت 55,6 بالمائة (63 بالمائة من النساء و48 بالمائة من الرجال) . ومن جهة اخرى سجلت وزارة التجارة 364حالة تسمم جماعي سنة 2021، مست 517 4 شخص، منها 1529شخصا تسمّم بسبب اقتناء منتجات معروضة للبيع، 928 شخصا تسمم على مستوى المطاعم والإطعام السريع، 719 شخص تسمّم في المناسبات المنزلية، 613 شخصا متسمم بسبب الوجبات العائلية (وزارة التجارة وترقية الصادرات 2022).

في هذا الإطار نحاول من خلال هذا المقال، تقديم عناصر تفكير سوسيولوجي مغاير ومكملة للنتائج وطرح تخصصات أخرى حول مختلف الابعاد التي تربط المكونات الضمنية للثقافة بتمظهرات واشكال الممارسات الغذائية للفرد الجزائري، وذلك بالإجابة عن الاشكالية التالية، ماهي العلاقة التي تجمع بين تمثلات الجسد ونزعة الشباب الجزائري للأكلات السريعة؟

2- الغذاء والممارسة الغذائية من وجهة نظر سوسيولوجية:

اي خطاب موضوعه الغذاء/ التغذية، لابد و ان يكون خطابا دينيا و طبيا بالدرجة الأولى، و لهذا تعذر لفترة طويلة على الخطاب السوسيولوجي التخلي عن التفكير في الغذاء / التغذية دون الوقوع في جدل عقيم لا طائل من وراءه، وهذا ما حث السوسيولوجيا المعاصرة على تجديد شبكتها المفهوماتية من أجل تحليل أجدى للغذاء والممارسات الاجتماعية المرتبطة به، ولعل سوسيولوجيا التغذية قد دأبت أكثر من غيرها على إبراز كيفيات اشتغال الممارسات الغذائية للمجتمعات باعتبار أن الغذاء ليس شيء يؤكل فقط، بل هو أيضا تجسيد للحقائق الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية، و هو تعبير عن نموذج حياة معين.

2-1- ماهية الطعام /الغذاء:

غالبا ما ينظر إلى الغذاء في المجتمعات النامية عموما والعربية خصوصا، كشكل من أشكال التفاضل الاجتماعي، أو كعنصر من عناصر تمظهر الهوية الاجتماعية لفئة أو طبقة اجتماعية (CARDON& GARCIA.2012. P.03) ، لذلك لم يحظى أبدا بنفس الأهمية التي أعطيت له في المجتمعات الغربية. ومع هذا يمكننا الجزم أن الغذاء كموضوع تفكير قد تم تحديده ووصفه باعتباره ظاهرة اجتماعية، تاريخية، ثقافية مادية ورمزية لها ارتباط بكل أبعاد الوجود والنظام الاجتماعي، لقد ربط الغذاء بالهوية، وربط بالصحة، وربط بالجغرافيا. وربط بالسمة الثقافية .... وربط بالجسد، وبالتقنية وبالدين وغير ذلك من الأمور والمسائل. وهذا

الربط قد أباح شتى نظم الفهم والتأويل للمجتمعات عبر مختلف العصور، فألغى فكرة الفصل بين الأكل والمأكول وبين أن حقيقة الإنسان مشروطة بالغداء، لكن ماهية هذا الأخير محددة ثقافيا (صولة عماد:2012، ص225).

وإذا كان أي غداء يجب إن يكون مفكرا فيه بصفة جيدة، وفق تعبير "ليفي شتراوس" فإن الممارسة الغذائية ذاتها تتحول إلى إحدى المرجعيات الضابطة لرؤية وفهم خاصين للعالم، للوجود في بعديها الفردي والجماعي. أي بين نظرة تعتبر الغذاء كوسيلة outilتربطه بالصحة / الجسد وبالحياة، وبين نظرة تعتبر الغذاء كمادة substance تربطه بالرمزية / الروحانية (FISCHLER C,2008. P.10).

عموما نجد في اللغة اللاتينية الأكل يصطلح عليه بـ«alerte" والتي معناها أفاد وغذى، فالغداء إذن ارتبط مفهوماتيا بمعرفة الذات وبما هو مفيد للذات، من أجل الحفاظ على التوازن، لذلك غالبا ما نجد الغداء مرتبط بمصطلحات أخرى مثل الوجبة diètالتي تدل على نظام زمني ومكاني لفعل الأكل، والطبخ الذي يدل على تقنيات تقليل مخاطر الأغذية الموجودة في الطبيعة، وعلى كيفيات تحفيز قيمة وفائدتها للجسم. من هنا جاءت عمليات تحويل الأغذية من حالتها الخام إلى وضعية متحضرة أو ثقافية، والتي يمكن تسميتها بالقابلية الثقافية للاستهلاك. والمتمثلة في أربع مميزات أساسية هي: التشاركيةla convivialité ، طبيعة المنتوج المستهلك، وتقنيات تحضير الأغذية. وأخيرا رمزية الأغذية، فاللحم مثلا يرمز إلى الأضحية والقربان، وهو طعام المناسبات والأفراح، أما الخبز والنبيذ والزيت فهي رموز الرحمة والنعم الإلهية (Stengel 2018. P.12,).

لكن في الواقع أن معنى الغداء لم يكن مستقرا وثابتا وإنما تغير وتطور تبعا لتطور البنى المعرفية والتقنية للمجتمعات، فمصطلح الغداء "Aliment" المتداول اليوم لم يظهر إلا في بداية القرن الثاني عشر ميلادي، ولم يأخذ معناه الحالي إلا في القرن السادس عشر تحت تأثير الثقافة الجرمانية، وضعف الهيمنة الكنيسية، ليستقر عند معنى "كل ما هو جيد للحفاظ على الحياة" (Poulain ,2011,P.234).

بيد أن فكرة الاجماع على معنى الغذاء والاعتراف به لا ينفي التعدد والتباين في الفهم، فمثلا على مستوى التحديد الانطلوجي نجد الانثروبولوجيين مثل "ماري كروس Marie Krause "و"مارسال موس Marcel Mauss " وهالبواش Halbwachs يفرقون بين الطعام وبين الغداء فالطعام له شحنة ثقافية تحيل إلى التصنيف الاجتماعي لما هو قابل للأكل، أما الغداء فهو كل مادة لها خصائص غذائية للجسم من أجل إبقاءه بصحة جيدة. ولعل هذا هو سبب توجيه تفكير العلوم الاجتماعية حول الغذاء إلى تمظهراته الثقافية والاجتماعية وطريقة استهلاكه.(Poulain ,2011,P.136)

ظهرت في الثمانينات من القرن العشرين، العديد من الدراسات التي حاولت الجمع بين النظرتين، بالاعتماد على اتجاه تاريخاني. منها دراسة "جودي Jodi سنة 1982 "الذي قام بربط النظم الغذائية والأبنية الاقتصادية والاجتماعية من خلال تبيان الصلة الكامنة التي تجمع بين الممارسات الغذائية وأنماط الإنتاج ونظم الاتصال الاجتماعي، وقد بين" جودي" أن الغداء له ثقافة تتمظهر كبناء رمزي ومعياري هو نتيجة لعمليات تاريخية معينة وفريدة. بما يعني أن الممارسة المرتبطة به، هي ممارسة رمزية في جوهرها تنصهر في صميم عملية الإنتاج الهوياتي للجماعة / المجتمع، أي أنها مصدر من مصادر ديناميكية إعادة إنتاجها وأحد علاماتها، ليتداخل الأكل بالمأكول، وتصبح الهوية الغذائية هي نفسها الهوية الثقافية للمجتمع أو لإحدى فئاته (صولة عماد،2012، ص 254) .

2-2- الأكلات السريعة كممارسة غذائية :

من البديهي أن تشكل الممارسات الغذائية سمة أساسية من سمات التعبير الهوياتي للأفراد والجماعات، منها ما يتعلق بالطعام والطبخ والطقوس المرتبطة بهما، وبالتالي فإن هوية المجتمع نفسها تتجلى من خلال الطعام. وما نسميه هوية مطبخية لا

يزيد عن كونه تجسيدا خاصا للهوية الاجتماعية والثقافية. وغني عن التذكير بأن صورة المجتمعات غالبا ما ترتبط بأطباق ومأكولات تعتبر بمثابة أحسن تعبير عن ثقافة تلك المجتمعات.

تكمن الإضافة الأساسية للقيمة النظرية والتفسيرية لمفهوم الممارسة في الأعمال التي قدمها "بورديو"، Bourdieu في انه جعل من " مفهوم الممارسة أحد المفاهيم الأساسية في البحث عن اليومي «(لوبيك، فانكان 2002، ص. 192). وأصبح نظرية معترف بها، لها أهميتها في علم الاجتماع، بسبب قدرتها التفسيرية والملائمة لكشف طبيعة الأفعال العفوية او اليومية. لقد استطاع "بورديو" بواسطة نظرية الممارسة الجمع بين النظرة الذاتية والموضوعية في تمثل العالم الاجتماعي، واعتبر أن أي ممارسة ثقافية سواء كانت فردية أو جماعية تتولد تحت تأثير علاقة الذاتي بالموضوعي، أي محصلة العلاقة الجدلية بين "الهابيتوس" و"الحقل" أو هي ناتج تفاعل الهابيتوس والحقل.(Bourdieu,2002,P.202)"

و إن كانت نظرية الممارسة عند "بورديو" تمس و تغطي جميع أنواع الممارسات، معتمدتا في تحليلها و تصنيفها على الهابيتوس و الحقل ، فإننا نجد أن تحليل الممارسة الغذائية عند "كوربوJ.P. corbeau "تتم من خلال الجمع بين "الطابع الاجتماعي " Socialité ""و "التهيؤ الاجتماعي"Sociabilité "، فهو يرى أن الممارسة الغذائية هي تجسيد لطبيعة الفعل الملائم "action qui convient" في لحظة ما من السيرورة التاريخية للمجتمع (Corbeau,2007.P.01)، يسميها لحظة الممارسة، فالشخص الممارس "pratiquant" هو الشخص المحمل بخبرات متراكمة، و رأسمال رمزي يكتسبه خلال عملية التنشئة أولا و التعلم ثانيا، و يولد لديه مجموعة من الاستعدادات تمكنه من ممارسة وجوده في إطار بنية (الأنساق المعيارية) محددة. فالمجتمع هو الذي يحدد نمط غذائي لجيل معين، يختلف عن الأجيال السابقة واللاحقة (Corbeau,2007, P.05) .

في تحديده لأشكال الممارسة الغذائية، يرى "بولان Poulain J.P "أن المجتمع، يفرض ثلاث مسارات محتملة، يمكن من خلالها فهم طبيعة الممارسات الغذائية، هي: المعايير الثقافية والاجتماعية للأكل، المعايير الصحية، مجال الحرية الممنوحة للاستهلاك (Poulain ,2011,P.50).

والحقيقة أن تلك المسارات تمثل بالنسبة للفرد السياق الذي من خلاله يتفاعل مع الأكل / الطعام، حيث يعمل وبنمط معين على توظيف المعايير الثقافية /الاجتماعية وفق تمثله لها، لكن كذلك وفق تمثله لمجال ونطاق حريته كذلك. فالفرد يمتثل للقواعد والمعاير الاجتماعية والثقافية والصحية للغذاء، لكنه في الوقت ذاته يمتلك مجالا من الحرية يسمح له بتغيير أو تعديل ممارساته الغذائية.

يعتقد "جودي" والكثير من الباحثين الغربيين، أن الأكلات السريعة هي المثال النموذجي للمجتمع الاستهلاكي، مجتمع الدمى المتحركة بخيوط الإعلام والإغراء والتخويف، ذلك أن الأكلات الخفيفة ثقافيا تتعارض مع مقومات الهوية المتحضرة، فهي مجموعة صغيرة من الأغذية المزينة والمقدمة بطريقة يتم فيها التخلي عن اخلاقيات التغذية l'éthique alimentaire المميزة للمجتمع المتحضر الذي يعكس رقي وثقافة الغرب ذاته. انها التعبير الصارخ لتدني الذوق والرجوع إلى الوراء (Rial ,2006,P.151). وهو نفس راي "ريتشرRitzer "، الذي رأى أن نموذج "ماكدونالدز" قد تعدى الإطار المحدد للتغذية، ليمس المجتمع بكامله، فهو ترجمة لتفاهة وغباء المستهلك من جهة، وقوة القوى الجديدة في المجتمعات الغربية .(Poulain ,2011,P.42)

في منحى مغاير، نجد إدغار موران E.Morin "، يعتقد أن الأكلات السريعة هي انعكاس لخاصية التغير الاجتماعي، فهو يرفض فكرة تصنيفها في خانة الخطر على الخصوصيات المحلية و الجهوية ، و يصنفها ضمن خانة الثقافة الجماهيرية culture de masseللفئات / الحشد masse ، وفق آلية الدمج و الترتيب corroder بين المخيال الاجتماعي و بين إكراهات الحياة الواقعية، و هي نفس النظرة التي نجدها عند "فيشلر" و"كوربو" و "بولان" تحت مسمى التهجين métissage /créolisation ، الممثل أولا في

اختفاء بعض الخصوصيات الغذائية لعدم ملائمتها للتغير الحاصل في حياة الناس، ثانيا ظهور أشكال و ممارسات غذائية جديدة نتيجة تكييف و تطوير ممارسات قديمة وفق متطلبات و رهانات الحياة الراهنة، ثالثا انتشار بعض المنتجات و العادات الغذائية على مستوى التفاعل الثقافي بين المجتمعات. أي أن الأكلات السريعة هي ممارسة غذائية تعكس التأقلم والتكيف الاجتماعي مع رهانات وتطورات الحياة المعاصرة (Poulain ,2011,P.31)، وأهم نمط حياة في القرن العشرين هو الكلات السريعة fast Food.

من هنا يمكننا أن ندرك موضوع الأكلات السريعة من خلال مسألتين هما: أن الهوية الغذائية لمجتمع ما ليست كيانا خالصا وفريد، وإنما هي نتاج لاستجابات الأفراد لرهانات الحاضر وفق الإمكانات المتاحة ثقافيا وتقنيا، أو لنقل بأنها نتاج للترابطات التي تحصل بين عدة عناصر وأجزاء داخلية وأخرى خارجية، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن هذا الناتج أي الممارسات يصبح مسيطرا باعتباره بنية تميز أسلوب حياة هذه المجموعة، أو تلك الطبقة أو تلك الشريحة أو ذلك الجيل، في فترة زمنية معينة. بمعنى أن الممارسة الغذائية المسيطرة تنتج بدورها الهيمنة والتراتبية. وفي حال الأكلات السريعة نجدها متواترة عند النسبة الكبيرة من سكان المجتمعات الغربية، تبعا لفاعليتها، وقدرتها على الاستجابة للإمكانات الاقتصادية والثقافية لممارسيها FISCHLER) ,1989,P.381).

وبتالي فإن الأكلات السريعة على الصعيد الممارساتي تحيل إلى مستويات مختلفة ومتداخلة، فلا يمكن الحديث عن انحراف غذائي خالص بالمعنى التقني للكلمة، ولا يمكننا الحديث عن سمة غذائية مميزة كذلك (Corbeau ,1997, PP. 323 -345). فالأكلات السريعة بالرغم من أنها غيرت من طقوس وقواعد الأكل في المجتمعات الغربية إلا أنها تعتمد على نفس مكونات وتمثلات الطبخ والتغذية الغربية لكن بشكل أكثر فعالية وعملية. فهي نتاج لمخيال جماعي ذو بعد كوني.

3- الممارسات الغذائية في الجزائر:

مما لا شك فيه هو أن طرق التغذية والأكل بالنسبة لأي مجتمع هي شديدة الارتباط بإمكاناته الاقتصادية ورؤيته للعالم ومقوماته الثقافية والحضارية، ففنون الطهي ومستوى الذوق وتقنيات الطبخ، وكذا تأثيرات الثقافات المجاورة، تسهم لا محالة في رسم ممارساته وعاداته الغذائية، فإذا أخدنا مثالا على ذلك الجزائر، وجدنا أن الممارسات الغذائية لساكنة الجبال تختلف عن ممارسات ساكنة الصحراء والسهول والساحل، إلا أنها تشترك في العديد من المقومات التي تقاربها وتمنحها السمة المميزة لكل الجزائر .

3-1- تطوروتغير الممارسات الغذائية في الجزائر:

من المعلوم أن الرحالة الأوائل الذين سافروا بين بقاع الجزائر في القرن التاسع عشر، ركزوا في وصفهم للجزائريين من خلال وصف أشكال ممارساتهم الغذائية والمطبخية والطقوس المرتبطة بالأكل عموما، فهذا الرحالة" كلاماجرون Clamageran" يكتب: " كرمهم يمتاز بنوع من العظمة والفخامة، لا يمكن إلا أن يؤثر في الغريب. وهذا لا يعني أنه دوما فاخر وباذخ؛ وحتى ولو كان بسيطا مثل بعض الكسكس بالفلفل مع نبيذ النخل، فإن العظمة تكمن في سلوكاتهم، في حركاتهم وملامح وجوههم المعبرة عن الوقار والود والاستئناس، عبارات أبلغ من أي بذخ. إنهم يتمتعون بدرجة عالية من فن التعبير عن أحاسيس عميقة بطرق بسيطة جدا(Clamageran. J. J ,1894, P. 175). كما وصف "فرومونتان "الضيفة الجزائرية وطعامها وكيفية تقديمها مؤكدا دائما على سلوك المضيف في خدمة ضيفه فيقول: " "الضيفة هي طعام الضيافة. ومكوناتها سطرتها العادة والأعراف فأصبحت علامة من علامات اللياقة"(FROMENTIN ,1951, P. 19). كما صرح " شارل أندري جوليان " Charles André Julien "إن البربر قنوعين ونباتيين في غالب الأحيان" (بسنوسي، 2010، ص. 111) وهذا إن دل فإنه يدل أن الممارسة الغذائية هي ممارسة رمزية في جوهرها

تنصهر في صميم عملية الإنتاج الهوياتي، ومن البديهي مثلا اعتبار الكسكسي والمشوي مثلا طبقا هوياتيا لمجتمعات المغاربية عموما.

فالجزائري كان يأكل من محاصيل الزراعة وتربية المواشي، وكان يتغذى أساسا بالقمح والشعير وبالخضر والفواكه، فلما جاء المستعمر الفرنسي صادر أراضي الجزائريين، وشردهم واتبع سياسة الأرض المحروقة، فدفع بهم للعمل عند الملاك الجدد من الإسبان والفرنسيين والبرتغاليين الذين جلبوا معهم خضروات جديدة لم يألفها الجزائريين مثل الباذنجان، القرنبيط، خرشوف (ارضي شوكي)، السلطة، البزلاء، الفاصوليا (Bensafia ,2008, P.23) وغيرها. وبمرور الزمن قام الجزائريون بدمج تلك الخضروات في سجلهم الغذائي .

كما قام الجزائريين كذلك بدمج النباتات البرية مثل السلق، والفطر الذي تعلموا طهيه من المستعمرين ليصبح من مكونات الوجبة الوحيدة التي كانوا يتناولونها في فترات القحط والمجاعة التي فرضت عليهم. وهي وجبة العشاء.

بعد الاستقلال، نزح العديد من الجزائريين للمدن، فأدى ذلك إلى تغير جلي في الممارسات الغذائية، حيث عرف طبخ اللحم، والسمك، والبطاطا المقلية (Mohamed Bouziane ,2008, P.124)، كما ورث الجزائريين عن الفرنسيين نظام وجبتين رئيسيتين تتخللهما وجبات خفيفة في بداية الصباح وبعد العصر، وكذا تناول أكثر من طبق في الوجبة الرئيسية الواحدة، كما تبدلت قيمة الوجبة حيث أصبحت وجبة الغذاء هي الأهم بينما كانت في فترة الاستعمار هي وجبة العشاء.

بعد أزمة انهيار أسعار البترول في منتصف الثمانينات، التي نتج عنها ندرة السلع الغذائية الأساسية، تأقلم الجزائريون معها، بتبني لنموذج غذائي صارم مبني أساسا على الخضر الجافة والبقوليات مع الاحتفاظ بنظام الوجبتين الرئيسيتين، مع إدخال الوجبات الخفيفة التي يتم تناولها في الفترة الصباحية فقط والممثلة في مأكولات شعبية أساسا مثل الحامي (كاران) والمحاجب.

أما في سياق الحاضر الموسوم بالزحف الواسع والمتسارع لمظاهر تكنولوجيا الاتصال والإعلام، ولتمظهرات الانفتاح والتثاقف، يمكننا القول أن الممارسات الغذائية المتواترة الآن في الجزائر تكشف على الصعيدين الثقافي و الاجتماعي، عن وجود كيانات متعددة ومتعارضة، تبدأ بالفئة الاجتماعية وتمر بالمحل وتنتهي بالعالم، إنها بالأحرى "تعيش في كيان مركب معقد، تتداخل فيه عناصر الانتماء المحلي بالانتماء الشامل، ولا تتطابق فيه حدود الجغرافيا مع حدود المشاعر، ولا حدود السياسة مع حدود الذات(بن عمارة،2014، ص 204)" ،وقد خلق ذلك إحساسا بالالتباس والاضطراب في مرجعيات التقدير و الحكم و الرؤية ،كان من أهم نتائجه تذبذب في السلوك / الفعل، سواء على مستوى الممارسة أو الرؤية أو العادات لدى مختلف شرائح المجتمع الجزائري. يظهر ذلك جليا من خلال اللباس ونمط الحياة، وأشكال الترفيه وغيرها من التفاصيل التي تتمظهر في اليومي.

ففي مجال الغذاء لم يعرف الجزائريين قبل العشرية الأولى من القرن الواحد و العشرين كل هذا التنوع و الوفرة في السلع و الأغذية، فبعد تحرير التجارة الخارجية، و فتح السوق الجزائري، قام المستوردون و المستثمرين بإغراق السوق الجزائرية بمختلف السلع الاستهلاكية، مما انجر عليه ظهور نماذج غذائية جديدة، تعكس الوضع الجديد و تؤسس لنمط حياة جديد يمكننا تسميته بالنمط الاستهلاكي(Mohamed Bouziane ,2008, P.125)، يظهر ذلك جليا من خلال ميزانية الوقت المخصص للأنشطة المختلفة و التي تتضمن مجموعة مختلفة من الممارسات الاجتماعية مثل السفر خارج الوطن، وفي الأنشطة الثقافية و الترفيهية، و تناول الوجبات في المطاعم(بولكعيبات،2001،ص. 296) .

فالمعروف عن السجل الغذائي الجزائري عموما، أنه سجل نباتي (البقول)، تشاركي فكل الأفراد يأكلون من صحن واحد، ينقسم إلى وجبتين أساسيتين تقدمان بشكل متزامن وليس متعاقب، تتخللها بعض الوجبات الصغيرة والحرة مثل الوجبات

الخفيفة casse-croute والتي غالبا ما تكون قبل ساعتين عن الوجبة الاساسية، كما أنه سجل مبني كليتا على الخبز، الذي يعتبر المكون الأساسي لكل الوجبات .

لكن اليوم يمكن لأي شخص أن يلاحظ أن الممارسات الغذائية الجزائرية قد تغيرت، من حيث الاهتمام بالوجبات الحرة أكثر من الوجبات الرئيسة، حيث أن الجزائريون يعطون أهمية كبيرة للمجة Grignotage والقرمشة Snacking التي يتم تناولها في أي وقت، على حساب الوجبات الرئيسية المضبوطة ثقافيا واجتماعيا. ولعل ذلك هو سبب ارتفاع استهلاك السكريات ومشتقاتها في النظام الغذائي الجزائري.

مع هذا لا يمكن انكار حقيقة ان المجتمع الجزائري عرف الأكلات السريعة كممارسة غذائية وكانت موجودة ومتداولة بين مختلف الفئات الاجتماعية، وكان يطلق عليها مختلف التسميات مثل اللمجة، والزاد وغيرها، تباع أو تحضر من طرف أصحاب المحلات أو البائعين المتجولين، لعل أشهرها وجبة تسمى بالحامي أو "الكران" وهي أكلة مصنوعة من طحين الحمص والقليل من الزيت، بالإضافة إلى أكلات أخرى مثل الفول المغلى، وصلصة السمك، والمحاجب، والشواء وهي مأكولات تباع كلها في الأماكن العامة لأسباب تجارية أو اجتماعية.

لكن مع تطور نوع من الوعي الصحي لدى فئات المجتمع، أصبحت هذه المأكولات رمزا لقلة النظافة و المرض و حتى الغش و النصب، مما عجل باختفائها الشبه الكلي من الفضاء الاجتماعي الغذائي في الجزائر، لتظهر مكانها محلات الأكلات السريعة المعروفة اليوم، و التي تقوم بتقديم وجبات عالمية و ليست تقليدية تتمثل أساسا في البيتزا Pizza والهامبورغر Hamburger والسوفلي Soufflé و السندويتش ، و هناك من المحلات ما يضيف إلى قائمة الوجبات بعض الأكلات التقليدية المعدلة و المطورة مثل المحاجب التي أصبحت تصنع من السمك و الجبن و البيض، والبوراك الذي أصبح يطلق عليه بالبريك لضخامة حجمه. وكذا بعض الأكلات الشرقية مثل الشورمة.

4- البحث الميداني:

4-1- إشكالية وفرضيات الدراسة :

تضاعفت الأبحاث في الآونة الأخيرة حول موضوع التغذية، وشملت عدة مقاربات لمحاولة فهم المسائل المرتبطة بها، كالصحة العمومية، الاستهلاك..... ومن بين تلك المقاربات التي حظيت باهتمام العديد من المختصين، نجد الأفكار والتحليلات التي أنتجتها سوسيولوجيا التغذية.

لقد حاولت سوسيولوجيا التغذية تقديم فهم مغاير نوعا ما للمحددات الثقافية والاجتماعية لطبيعة الاستهلاك الغذائي، وإدراك اثار العادات والممارسات الغذائية على النظام الاجتماعي ككل، أي ربط الأنماط الغذائية بالسياق الثقافي والاقتصادي والاجتماعي والايكولوجي للمجتمع .

يقول "بول كونيرتون P. Connerton» في كتابه "كيف تتذكر المجتمعات" الصادر سنة 1989 أن المجتمعات لا تحافظ على مورثها الثقافي بغاية الحفاظ على هويتها فقط وإنما تستعملها كأداة للتذكر ولإعادة بناء ذاتها الاجتماعية وسيرورتها (Poulain ,2011, P.220).

وفي هذا السياق فإن وثيقة منشورات أكسفورد الصادرة لعام 1995 المعنونة " كدمان الغزو/ وأقنعة المقاومة تحت إشراف "تيجو مولا أولينيان" توضح في فصل" الهوية الثقافية كترابط" بأن " الممارسات هي دائما معقدة، ومتناقضة، ومتنوعة، ومجموعة مفتوحة على الخيارات" وتضيف في نهاية الفصل ما يلي:" إن هوية الأجزاء أو العناصر في البنية المعقدة، تعدل دائما بسبب الممارسة الترابطية، إن الأجزاء المسيطرة في البنية المترابطة تكون ما يعتبر عادة بأسلوب حياة الناس المميز في زمن معطى.

بإسقاط هذه الرؤية على الممارسات الغذائية للجزائريين عموما، فإنه ينبغي القول بان الممارسة الغذائية تتميز بأنها تركيب جماعي، ونجد لهذا أثرا في أسلوب حياة الجزائريين وعاداتهم الغذائية المختلفة. مثل زمن الأكل، مناسباته، طقوسه، وغيرها من الممارسات التي تعبر عن خصوصية الجماعات الاجتماعية المكونة للمجتمع الجزائري بشكل عام. وبتالي فإن سمة المجتمع وخصوصيته نفسها تتجلى من خلال تلك الممارسات الغذائية المستقلة ظاهريا لكنها مترابطة فيما بينها من حيث التمظهر والتجسد الاجتماعي.

في الواقع أن هذا الاستعمال الأداتي للأكل يطرح العديد من التساؤلات الملحة، فهل تمثل الأكلات السريعة في البنية المعرفية للجزائري عنصر تعريف الذات بعلاقاتها مع الغير؟ أم أنها تعبير عن خصوصية ونمط حياة مميز عن الغير؟ هل تعتبر الأكلات السريعة مجرد اختزال لنزعة وتوجه ظرفي لفئة / جماعة؟ أم أنها تشكل إحدى الوسائل لتحقيق مقاصد اجتماعية أخرى غير التغذية؟

وعليه يمكننا تلخيص الإشكالية في التساؤلات الفرعية التالية:

أولا: كيف يتمثل الجزائري الأكلات السريعة؟

ثانيا: كيف يربط الجزائري بين ممارساتهم الغذائية والجسد؟

للإجابة عن هذه التساؤلات وضعنا الفرضية العامة التالية: لا يتمثل المبحوثين الاكلات السريعة كممارسة غذائية تحيل لهوياتهم الثقافية والاجتماعية، وانما تندرج ضمن سيرورة الاستعمال الأداتي لتحقيق اهداف ومقاصد اجتماعية تتعلق بالجسد والصحة.

2-4- الإجراءات المنهجية.

لغرض الحصول على نتائج محددة لتساؤلات البحث، فقد استخدمنا منهج تحليل المضمون لتحليل خطاب المبحوثين المجسد من خلال مقابلات أجريت معهم. وقد اعتمدنا هذا المنهج لكونه الأنسب في مثل هذه البحوث، وهو منهج يصنف عند البعض ضمن الاساليب الوصفية لاستخراج نتائج كمية محددة بغية الحصول على إجابات دقيقة عن أسئلة الدراسة. وعليه وضعنا شبكة خاصة بتحليل مضمون الإجابات التي تضمنتها عينة الدراسة، مستفيدين من التراث المنهجي وبما يتناسب مع طبيعة الدراسة كالاتي :

أولا: بناء شبكة التحليل:

توفر شبكة التحليل للباحث إطارا محددا لتسجيل المعلومات التي تفي بمتطلبات البحث، حيث يتم تصميمها بما يتفق وأغراض التحليل، وتعبر كميا عن مضامين المقابلات، بحيث تشمل هذه الشبكة على فئات التحليل، ووحدات التحليل، ووحدات القياس. وكانت الصيغة النهائية للشبكة، على النحو الآتي :

أ: فئات التحليل:

بما أن شبكة تحليل المضمون تهدف إلى رصد فهم المبحوثين للسمنة، فإنها تعد شبكة أحادية المستوى، أي مستوى الموضوع (الأكلات السريعة / تمثل الجسد). ذلك أن المستجوبين يعطون أهمية للمواضيع التي تتفق مع رؤيتهم المعيارية والثقافية.

ب: وحدات التحليل:

لتبعا لمتطلبات تحليل المضمون، وجب علينا النظر إلى محتوى الإجابات المحصل عليها من خلال بناء المعاني والغايات التي تتضمنها، ولكي نقوم برصد أهم المعاني والمقاصد والاتجاهات المبينة في اجابات المبحوثين فقد استخدمنا وحدات اللغة والفكرة على النحو التالي:

أولا: وحدة اللغة: وهي تشمل الكلمة والجملة والفقرة التي اتخذها المبحوث للتعبير عن تصوره للموضوع. وقد حددنا هذه الوحدات وفق مؤشرات محددة وفق المفاهيم الأساسية المستعملة في الدراسة.

ثانيا: وحدة الفكرة: وهي من أكثر الوحدات شيوعا، خاصة عندما تستعمل فئة الاتجاه، لأن تناول الفكرة كوحدة تحليل يفيد في تحديد الاتجاهات والأحكام التي تقع على مستوى الرسالة أو الخطاب. وقد حددناها وفق المعاني والدلالات التي تحيل إليها الإجابات.

3-4- تقنية جمع المعطيات:

اعتمدنا في البحث على المقابلة نصف موجهة. وقد احتوى دليل المقابلة على 06 أسئلة موزعة على ثلاثة أقسام، تمحور القسم الأول حول العناصر التعريفية للمبحوث كالسن والمستوى التعليمي والوضع السوسيومهني، أما القسم الثاني فقد تم تخصيصه لرصد راي وموقف المبحوث بالمؤشرات المتعلقة بالفرضية الأولى، أما القسم الثالث فقد خصص للأسئلة المتعلقة باختبار الفرضية الثانية.

4-4- العينة:

تبعا لطبيعة المجتمع الكلي للدراسة وهم ساكنة مدينة سيدي بلعباس، فإن المعاينة كانت غير احتمالية لعدم توافر شرطي التجانس والقاعدة الإحصائية لوحدات البحث وقد استقر اختيارنا على العينة الحصصية التي يراعى في سحبها الإطار النظري المتبع معتمدين أساسا على نتائج البحث الاستطلاعي.

وبما أن الأمر يتعلق ببحث كيفي يهدف بحكم طبيعته الفهمية إلى تحديد مقاصد وفهم المبحوثين لتناول الأكلات السريعة وليس إلى قياس الآراء والمواقف، فإن مسألة تمثيلية العينة لا يمكن أن تنحصر في العدد بالنظر لكبر المجتمع الإحصائي. ذلك أن هدفنا ليس تحديد علاقات سببية بين متغيرات، وإنما فهم ممارسات معينة، آخذين بعين الاعتبار بعض السمات المميزة على غرار المستوى التعليمي، النشاط، الجنس.

وهكذا، سمحت لنا الظروف بتحديد حجم العينة بثلاثة عشر مبحوثا مصنفين حسب متغيرات السن، الجنس المستوى التعليمي والنشاط من رواد محلين للوجبات السريعة بمدينة سيدي بلعباس .

جدول 1. الخصائص السوسيوديموغرافية لعينة البحث

	السن				الجنس		المستوى التعليمي		
النشاط	14 - 18	19 - 23	24 - 28	28 فأكثر	ذكر	أنثى	ثانوي	جامعي	المجموع
طالب	/	03	02	/	01	04	/	05	05
تلميذ ثانوي	02	/	/	/	/	02	02	/	02
عامل	01	/	/	02	02	01	01	02	03
بطال	/	01	02	/	03	/	02	01	03
المجموع	03	04	04	02	06	07	05	08	13

5- نتائج تفريغ وتحليل المقابلات.

1-5- الأكلات السريعة وتمثل الذات:

أستخدم مصطلح الذات في السوسيولوجيا على نحو مترادف مع مصطلح "شخص"، ولكن بالتأكيد على البعد الداخلي بدلا من البعد الخارجي الجسمي بالرغم من إقرارها (كامل، د س ص 51) لهذا البعد في تكون الذات. وبهذا تعتبر الذات موضوع وعي، قادرة على التقدير والخبرة وانجاز الأفعال القصدية المعبرة أو الدالة عليها مثل الكلام والسلوك والممارسة. وقد تداول علماء

النفس الاجتماعي اصطلاح "الذات" للإشارة إلى طبيعة تصرف الفرد أثناء علاقاته بالذوات الخارجة عنه، لذلك فإنه ظهر لنا، أنه لا يمكننا أن نبث القول في مسألة الأكلات السريعة، إلا إذا رجعنا إلى الذات، مصدر هذه الأفكار. فالذات هي المتضمنة والحاضنة للمعنى الأولي لفعل الأكل. ذلك أن "الفعل هو نبض تشكُّل المجتمع الإنساني" (Mead,2006 ,P.14)، وأن ظهور العقل والذات ما هو إلا تجسيد لذلك الفعل مهما كان شكل تجسده.

وفي هذا الصدد يقول "ليفي شتراوس" لا تتوقف جودة الغذاء على طيبة مذاقه، وإنما أيضا على الدافع لأكله " (Apfelbaum,1998 ,P.07)، بما يعني أن هناك نوع من التناظر بين بنية الفعل وبنية الرموز المعبرة عنه. وهي الحقيقة التي تجلت لنا من خلال إجابات المبحوثين حول معنى الأكلات السريعة بالنسبة لهم.

- سهام 22 سنة طالبة بالمدرسة الوطنية للإعلام الآلي:

"أحب البيتزا ، فهي دائرية و مزركشة و جميلة، و لذيذة ، تفرحني و أحس بالراحة بمجرد النظر إليها..... لا أعرف ربما يعتبر هذا غباء، لكن البيتزا تمثل لي السعادة، لأنها تذكرني بأوقات سعيدة"....

- نبيل 19 سنة بدون عمل رسمي:

"لم أفكر في الأمر من قبل، عندما أدخل عند رشيد (صاحب المحل) لا أفكر كثيرا في معنى السندويش الذي أطلبه، غالبا ما يدفعني الجوع .... لكن الذي يمكنني قوله هو أن طبخ رشيد لذيذ ونظيف، أفضل الأكل هنا عند شخص اعرفه أفضل".....

- عمر 28 سنة بطال حسب تصريحه:

"تمثل الأناقة، و الأسلوب "style " ، الله يبارك ، عندما أتناول الأكلات السريعة، أشعر بالراحة ليس بطعام وحده و إنما كذلك من خلال الزبائن الأخرين فهناك طلبة و موظفين، ناس محترمين و متأدبين".....

من خلال هذه العينة من الإجابات، يتضح لنا أن الأكلات السريعة لها نوع من الشحنة الوجدانية، تتراوح بين ما هو ذاتي نفسي وما هو اجتماعي، ومرسوم في منظومة التمثلات وآليات التقدير، لكن عند تعمقنا في الاجابات وجدنا أن راي المبحوثين أصبح أكثر عمقا لطبيعة الربط بين الأكلات السريعة والذات.

- سهام 22 سنة طالبة بالمدرسة الوطنية للإعلام الآلي : " أنت تعرف أكل المنزل، روتيني ... الطاقة التي أخدها أبددها في أشغال المنزل، بالإضافة إلى عقلية الأمهات و غير ذلك. أنا شابة في مقتبل العمر وأدرس، على أن أحافظ على صحتي بأن أكل وجبة فعلية على الأقل، ليس بطاطا مقلية أو عدس.«...

- نبيل 19 سنة بدون عمل رسمي : " الحقيقة أن الأكل هنا أحسن من أكل البيت، الوالد ضعيف الدخل، لذا فالأكل في البيت يكون جيدا إلا في بداية الشهر ، أما الباقي فأنت تعرف ..... يقول الأطباء أن جسم الإنسان يحتاج على الأقل 125 غرام من اللحم في اليوم. أنا أحاول قدر الظروف أخذه.... بالرغم أن أصحاب المحلات يرفعون الأسعار كل مرة".....

- عمر 28 سنة بطال حسب تصريحه :" في عمري 28 سنة، و لا أعمل، أحاول قدر المستطاع تخفيف عبئ عن الوالد، عيب علي أن أتكل عليه في مأكلي .... لهذا فأنا أتناول وجباتي هنا".....

- سهام 30 سنة ، موظفة ببنك :» لا يوجد في بلعباس أماكن للترفيه أو تغيير الروتين غير المطاعم، و المحلات، ليس لدى البنات خيار إلا ..... .fast Food بالإضافة أني أشتغل كامل النهار، و تلزمني الطاقة لذلك. كما أن بيتزيريا مكان جميل للتعارف والحديث مع صديقاتي".....

- نادية 25 سنة طالبة ماستر علم النفس :" أكل البيت ثقيل جدا و غني بالنشويات، لو أعتمد إلا عليه فسوف أجد نفسي أزن قنطار ، الواحدة منا يجب أن تحافظ على رشاقتها ".

مبدئيا وجدنا من خلال تحليل المقابلات أن المبحوثين الذين يوجدون في مواقع متقاربة في المجال الاجتماعي، بسبب الفئة التي ينتمون إليها أو بسبب الظروف المحيطة بهم، لا يحركهم في الواقع شعور متجانس، فهؤلاء قد يموضعون أنفسهم في خانات خاصة تتفق مع تقويماتهم الخاصة و إدراكهم الخاص لأهدافهم و نشاطهم في المجتمع و موقعهم فيه و تمثلهم لذلك الموقع ، وربما هذا هو السبب الذي دفعنا إلى الاستنتاج من خلال الإجابات السؤال الاول المحصل عليها أن التقييم الذي يقيمه المبحوث للأكلات السريعة يتم على مرحلتين منفصلتين و متكاملتين في نفس الوقت. المرحلة الأولى هي بناء الذات المدركة*، ويتعلق بالفكرة والمفهوم اللذين يكونهما الفرد عن ذاته ووضعه. والمرحلة الثانية، هي التجربة الذاتية أو المعاش "vécu" ويتمثل في وعي الفرد الذي اكتسبه من خلال مختلف إدراكاته بوجوده وتفاعلاته في ذلك المجال محلات الاكلات السريعة. ومن خلال هذه العملية تكون المحددات الذاتية والموضوعية لأي تقويم، متداخلة ومتشابكة.

وانطلاقا من هذا الاستنتاج، فإن التمثلات التي يكونها المبحوثين عن الأكلات السريعة، تشكل صيغة من صيغ التركيب والدمج المعرفي والثقافي مع التجربة الاجتماعية لكل مبحوث، أي من خلال ازدواجية الثقافي والاجتماعي. لكن المثير للانتباه في التمثلات المبحوثين أنهم يربطون الأكلات السريعة بالجسد والصحة، لان الوجبات المنزلية، لا تراعي حسب رأيهم لحاجات الجسم. وهو الرأي متواتر عند أغلبية الذكور وجل الإناث، لكن ما سبب تركيز كل الإناث على ربط الأكلات السريعة بشكل أو الأخر بأجسادهن؟

ان الاناث يتمثلن وضعهن الاجتماعي من خلال أجسادهن، من حيث خصائصه، أبعاده الجمالية التي يعتقدن بها، وعليه فسلوكهن الاجتماعي في مختلف مراحل حياتهن مرتبط أساسا بعلاقتهن بجسدهن والتصورات المتعلقة به وبالصحة، والجمال وغيرها، ومنه فحفاظ المرأة على جسدها هو رهان أساسي، ولكن ليس من منظور صحي أو طبي وإنما من منظور اجتماعي مخيالي للمرأة المقبولة اجتماعيا. ويضاف إلى ذلك إدراك الفتيات للظروف المتعلقة بالزواج، لذلك فهي تعتقد، أنها لن تتزوج ما إن لم تتألق كجسد أولا.

وبتالي فإن الأكلات السريعة في تصور المبحوثات هي أداة ووسيلة لصيانة رأسمالهن أي أجسادهن، لما تمثله من وجبات غنية من حيث السعرات الحرارية، وكذلك كفضاء لعرضه والتفاخر به في الفضاء العام.

نفس المنطق ينطبق على المبحوثين الذكور، فهم يدركون بفعل تجربتهم أن محلات الأكلات السريعة هي قبلة الفتيات، ومكانهن المفضل، لذلك فهم يتخذون منها وسيلة للقاء والتقرب من الجنس الاخر.

وعليه فإن الاستثمار الاجتماعي للجسد يجعل من الأماكن التي تقدم فيه الأكلات السريعة، كمجال أو أحد الفضاءات التفاعل والتواصل واقامة علاقات اجتماعية، إذ يتجسد ذلك في شكل استعمال الجسد أو اتخاذ أوضاع من أشكال التصرفات والممارسات، وبالتالي فالبناء الاجتماعي للجسد يدفع بالأفراد إلى الاهتمام وتبني ممارسات يعتقدون أنها تحقق انتظاراتهم الذاتية، وفي حالة الاكلات السريعة نعتقد أنها تتخذ كأداة لإنتاج استراتيجيات فردية أو جماعية تسمح بالتعبير عن حاجة أو رغبة... ذلك أننا لم نجد من المبحوثين ما يعاني أو يظهر أنه يعاني من السمنة او مرض مرتبط نوع الاكلات السريعة، حتى أننا لاحظنا خلال أسبوعين أن أغلبية زبائن المحلات هم الشباب ومن ذوي الأجسام النحيفة.

* يشير " روجرز" إلى أن مفهوم الذات يتكون من الذات المدركة وهي مجموع أفكار الفرد الذاتية المنسقة ومحددة الأبعاد من العناصر المختلفة لكينونته الداخلية والخارجية، وتشمل عناصر المدركات والتصورات التي تحدد خصائص الذات، كما تظهر في وصف الفرد لذاته كما يتصورها هو. والذات الاجتماعية وهي المدركات والتصورات التي تحدد الصورة التي يعتقد أن الآخرين يتصورونها، والتي يمثلها الفرد من خلال تفاعله الاجتماعي مع الآخرين. وأخيرا الذات المثالية وهي المدركات والتصورات التي تحدد الصورة المثالية للشخص الذي يود أن يكون عليها. للمزيد أنظر إلى: C : La socialisation. Construction de identités sociales et professionnelles, Paris, Dubar Ed Armand Colin, 1991

5-2- الجسد المقبول اجتماعيا بين التمثل والدوكسا:

من بديهيات السوسيولوجيا الفهمية، أن أي خاصية موضوعية لا يمكن أن توجد، إذا لم تكن موضوعا لتمثل يؤدي إلى الانضمام والانخراط في الحياة الجماعية. أن نعيش كمتشردين ونحن نملك ثروة، فهذا يثير الاستهجان، وعلى العكس فإن إظهار الدلائل الخارجية للثراء بطمس نوع من الفقر الموضوعي يضمن نوعا من الاعتراف الاجتماعي، لأن الفرق يكمن في الرأسمال الرمزي والاجتماعي الذي يملكه الفرد داخل العالم الاجتماعي. ولابد من ملاحظة أنه على المستوى الاجتماعي، يوجد الشيء طالما نعتقد أنه واقع وموجود، وعلى العكس من ذلك لا يوجد الشيء إن لم نعتقد في وجوده.(Bourdieu,1994 ,P. 129)

وفق هذا المنظور، يمكن القول إن القوالب/ النماذج الذهنية المسيطرة Doxa، أي مجموعة الآراء المتواترة والمواقف القائمة والأفكار النمطية، لا يمكن أن تفرض داخل مجموعة اجتماعية أو في كل المجتمع إلا من خلال عملية تماثل وتلقين حيث تكون فاعليتها رهينة عاملين: الأول هو التجانس في التعابير العامة ومعبرة عن رؤية العالم الخاصة بالمجتمع الذي انبثقت منه . **أما الثاني فهو شرعنة تلك المقولات من خلال أفعال / ممارسات جماعية تهدف إلى ترسيخها وإعطائها وجودا مرئيا. وبذلك فإن الفرد يتخذ من النماذج الذهنية المسيطرة Doxa كإستراتيجية للحفاظ أو تغير النظام القائم، بمعنى الحفاظ أو التمرد على علاقات القوة داخل المجتمع .

كشفت لنا المقابلات أن المبحوثين يتفقون كلهم على مقولات معينة حول الجسد المقبول اجتماعيا، وهي مقولات تتمحور كلها حول أنها دليل على الصحة والجمال والغنى والراحة. لكنهم أيضا متفقين ولنقل متماثلين حول العديد من المقولات الطبية والعلمية حول أثرها على الصحة .

- فاطمة 17 سنة تلميذة ثانوي علوم تجريبية :" هناك سمنة من سمنة، أحبذ دائما أني عندما ألبس ثيابي ، تكون تناسبني ، فأنا الذي ألبسها ، ليست هي ".....

- زواوي 20 سنة طالب جامعي تخصص اتصالات :" نعم الأطباء يقولون أنها مرض، كذلك نسمع هذه الأيام كثيرا عن السمنة في الجرائد، لكن لا أعتقد أنها مشكلة بالنسبة لي.... الحقيقة أنه عندما تكون بالوزن المضبوط، تناسبك الثياب أحسن من أن تكون نحيفا "...

- سهام 30 سنة موظفة ببنك " يقال أنها مرض العصر، السمنة حسب رأيي أنواع، لكن الوزن المناسب هو أساسي بالنسبة لي كإمرأة.

- مخطار 18 سنة مصلح هواتف : " نعم، لكن هي مشكل بالنسبة للذين لا يعملون والخاملين، بالنسبة لي السمنة المعقولة جيدة لصورتي أمام الناس ".

- رضا 34 سنة عامل بسونلغاز : " و أما بنعمة ربك فحدث، الأكل ممتع، لكن الحذر. السمنة والضغط مشكلة كبيرة، لا تتركك تعيش بشكل طبيعي، لكنك تعيش في الجزائر... أنت تعرف بان الكرش هي وجاهة." ... prestige

لقد ظهر لنا جليا أن المبحوثين لا يعطون أهمية كبيرة لما يقال عن مخاطر الاكلات السريعة على الصحة، بل يعتقد معظمهم أنها لا تعنيهم، هذا يعني أن المبحوث، يحدد رأيه من مخاطر الاكلات السريعة، وفق ادراكاته لتوافق شروطه الذاتية (السن، المستوى التعليمي، الجنس) بالشروط الموضوعية، أي العوامل الاجتماعية والثقافية. وأهم من ذلك طبيعة علاقاته الاجتماعية، فهو يستثمر رساميله التي يعتقد أنه يملكها، ليحصل على أقصى ما يمكن اكتسابه من احترام ومراعاة وتقدير. لكن

** إن المقولات تقترح وتنبثق في الظاهر باسم العقل والعلم والموضوعية، لكنها في الباطن هي نتاج علاقات القوة الفكرية والسلطوية داخل الحقل الذي انبثقت منه في المستوى الأول ثم علاقات التي تجمع الحقل بالحقول الأخرى في المستوى الثاني.

في نفس الوقت بمراعاة الصورة التي يحملها الأخر عنه. وهنا نجد المبحوثين يحملون تصورات مختلفة، تعكس إلى حد بعيد ادراكاتهم وترتيباتهم الخاصة بالجمال والصحة. بدأ من الأسرة ونهاية بالمجتمع الواسع. وهي في الواقع تعكس ادراكاتهم المتعلقة بالمرغوب فيه / عنه في المجتمع .

وكنتيجة طردية لتمثلات المبحوثين للجسد المقبول اجتماعيا، فإنهم يبنون تصوراتهم خاصة لقيم احترام الذات والوجاهة الاجتماعية وفق التصور / المخيال الاجتماعي. فعند طرحنا لسؤال هل الجسم الممتلئ جميل أم لا؟، تحصلنا على إجابات تعكس لحد بعيد سلم التقييم الاجتماعي للجسد. وهي أن البدانة أو السمنة (المأمولة) هي دليل على الصحة، الرفاه والجمال.

يمكننا إذن الحديث عن نوع من الإدراك الفردي لما هو مطلوب اجتماعيا، يسميه علماء الاجتماع المعاصرين بالرهان enjeux. *** .فالفرد لا يمتثل للعرف خوفا من العرف فقط، وإنما احتراما لشروط العيش الجماعي. فإدراك الرهان هو نفسه نتاج العملية المجتمعية .(Bourdieu,1994 ,P 41)

وبالرغم من اقتناع المبحوثين بالخطاب العلمي الصحي حول مخاطر الاكلات السريعة المشبعة بالدهون إلا أنهم في الواقع لا يتفحصون إلا صوريا ذلك الخطاب، ذلك أن الأكلات السريعة كممارسة غذائية تقدر بفضل معايير أخرى، موجودة خارج الخطاب الصحي العلمي نفسه. شأنه شأن التدخين والسياقة بسرعة وغيرها من الأمور. لأن الأكلات السريعة بالنسبة للمبحوثين هي "رهان" وجودهم وأهليتهم الاجتماعية. بينما الخطاب العلمي هو خطاب يتميز بالاحتمال والعمومية اللذين يؤثران على جديته ومصداقيته. إن الإكراه بالجذب، الذي يمارسه علينا التصور المسبق للجسد المقبول اجتماعيا (المحترمية، التقبلية ...)، قوي إلى حد ما. ويدفعهم بدون وعي إلى تقيم مستمر للعلاقة المحتملة بين الوسائل والغايات، وبين الشروط والنتائج، وبين حالات الراهنة والمرغوبة.

6- خلاصة تقييمية:

الملاحظ عموما على إجابات المبحوثين، أن هناك ميل إلى تصنيم التصورات والمعتقدات تحت إكراه نوع من المراقبة الضمنية واللاشعورية. إن مثل هذا الميل يشجع كثيرا على طرح الأمور الحياتية بشكل يميل إلى اختزال الواقع إلى بديهيات غير قابلة للنقاش أو التفكير. يتجسد ذلك جليا من خلال رؤى المبحوثين للمرض والصحة. وجدنا ان المبحوثين عند تبريرهم لتناول الاكلات السريعة بالرغم من مخاطرها على الصحة العامة، ينزعون إلى تجزئة الموضوع، فهم يربطون تلك المخاطر المحتملة بطبيعة الوجبات احترافية المحل الذي يقدمها، عدد الوجبات اليومية. لكن يربطونها كذلك بنظام العلاقات الاجتماعية المتواترة كنوع من التسويغ لممارستهم الغذائية.

الملفت للانتباه أن المبحوثين يتماثلون في نوع خاص من التطبع اللغوي الذي هو في الواقع نتاج الشروط الاجتماعية أكثر منه نتاج معاش شخصي، فهو خطاب خاضع لـ "وضعية" معنية، أو بالأحرى لسياق اجتماعي له نظامه ومرتكزاته الاعتقادية. لقد تم الحديث من قبل على مدلول الوضعية المعاشة من طرف المبحوثين باعتبارها محددا لكل ممارسة، والتي تشدد فقط على المكانة وتنسى الشروط التي تدعم تلك المكانة. لقد استعملنا مصطلح "التجسد الاجتماعي" خصوصا للتساؤل حول صحة الفرضيات المسبقة والمصاغة ضمنيا وفق نموذج "الشومسكي"(شومسكي،1990، ص 186) الذي يختزل المصطلح (نفس الشيء عند بورديو) في فعل التنفيذ، تنفيذ له نفس المعنى الذي يحمله تنفيذ التزام أو تنفيذ لتصور انتمائي ما. ويأتي مدلول التجسد الاجتماعي الذي استعملناه قصدا كمرادف للممارسة، لنشير إلى وجود منطق نوعي للتنفيذ خاص، وبأن ما يحدث على مستوى التنفيذ اللغوي لا

*** نشير هنا تحديدا إلى كل من ألان توران، بورديو، غوفمان، غي روشيه، وميشال كروزي.

يمكن استنباطه من مجرد معرفتنا لواقع المعاش. من هنا يحق لنا التساؤل عما إذا كان استعمال المبحوثين (ونحن كالقائمين بالبحث) لمدلول fast food في حالته المجردة، لا يعني سوى القيام بما يعيبه "موران" على نظرية الانحراف الغذائي: وهو تأكيد قوة المؤثرات الخارجية من اعلام ودعاية وغيرها في تشكيل وتواتر الاكلات السريعة.

إن اختزال المبحوثين وخاصة الاناث للأكلات السريعة -التي هي واقع محسوس ومعاش- في الاجتماعي فقط هو في الواقع نوع من تجسيد لمعيار التقبلية acceptabilité أو فكرة التماهي. فالتقبلية بمعناها الواسع لا تقتضي فقط امتثال الكلمات للقواعد اللغوية والسلوكية المحايثة، بل امتثالها أيضا للقواعد المتحكمة فيها حدسيا والمحايثة لـ "وضعية" معينة أو لتوصيف اجتماعي لما هو مرغوب فيه. وعليه فإن ما يفسر ميل المبحوثين إلى ربط الاكلات السريعة بآراء ومعتقدات جمعية communautaire، هو نفسه ما يفسر ميل أغلب المبحوثين إلى رفض الاعتراف الصريح بأخطارها الصحية، كشكل من أشكال التماهي برموز هويتهم الاجتماعية.

ومنه يمكن الجزم أن هذه النتائج لا تسوغ تقدير الباحثين لموضوع الاكلات السريعة بقدر ما تسوغ تقدير الشروط والأوضاع النوعية والاجتماعية التي يتواجدون فيها، والتي توجب عليهم، برغم ذلك، القيام بأدوار لا تؤهلهم أوضاعهم الذاتية والاجتماعية لأدائها بكفاية وجدارة. وسواء ارتبط تفسير هذه التقديرات لدى المبحوثين بأوضاعهم "المعيشية"، أو بالأوضاع العامة للمجتمع، فإن مجتمعاتهم التي تتجسد في مظاهر التماثل والتماهي مع فئات أخرى مختلفة عنها من حيث البنية والتكوين هي واحدة من متعلقات الفرد الجزائري التي تحتاج إلى النظر والمراجعة.

فالمبحوثين بهذه التقديرات الموضحة، لا يرون أنفسهم كفاعلين اجتماعيين، وإنما يطرحون ويوجدون أنفسهم في تقاطع علاقات موضوعية تجعل منهم كغيرهم من الفئات الاجتماعية الأخرى.

تجسد هذه النتائج نظرة المبحوثين لمكانتهم، كما تجسد ادراكهم لمفاعيل التقبلية والوجاهة، حيث يثير مفهوم الوجاهة عندهم مرادفات من قبيل القدر والمنزلة، ما يبين إلى أي حد هو مشحون بالقيم والمعايير الاجتماعية السائدة. ما يعني أن هناك بعدا اجتماعيا في فهم دلالة الوجاهة يتعين أن نأخذه بعين الاعتبار في تحليلنا لتقديرات المبحوثين للأكلات السريعة.

- قائمة المراجع:

http://dspace.univ-tlemcen.dz/bitstream/112/204/3/Chahrazed.pdf

http://thesis.univ-biskra.dz/1493/1/Socio_d13_2015.pdf

https://radioalgerie.dz/news/ar/article/20210304/208055.html

https://www.commerce.gov.dz/statistiques/le-bilan-de-controle-11

بن عمارة محمد، تأثيرات أنماط البيئة في تغير العادات الاجتماعية الغذائية، دكتوراه علوم علم اجتماع البيئة، جامعة بسكرة .2014 -2015. الرابط:

بولكعيبات ادريس (2001)، وضعية الطبقة الوسطى في الجزائر"رسالة دكتوراه علوم علم الاجتماع، جامعة قسنطينة،

تقرير وزارة التجارة وترقية الصادرات (2022/02/01) الرابط:

شهرزاد بسنوسي (2011)، ثقافة التغذية وعلاقتها بمرض السمنة بمنطقة تلمسان. مقاربة أنثربولوجية، رسالة ماجستير أنثوبولوجيا جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان. الجزائر 2010 – 2011. ص 111 الرابط:

صولة عماد، هوية الطعام وطعام الهوية، مجلة علوم الإنسان، العدد 02 جوان 2012 ص ص.

فؤاد كامل: الغير في فلسفة سارتر دار المعارف مصر بدون سنة طبع.

كلمة وزير الصحة بمناسبة اليوم العالمي لمكافحة السمنة.

لوبك ج.د. فاكان، نحو علم ممارسة اجتماعي: بنية سوسيولوجيا بورديو ومنطقها، ترجمة أحمد حسان، مجلة فصول العدد 60. 2002، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ص ص 197 – 184.

Agbessi H, Dossantos et Damon M(1987) , Manuel de nutrition africaine Édition Kartaala

B. Maire& autres, L'essor des maladies chroniques liées à l'alimentation dans les pays du Sud: le cas du Maghreb. Journée Scientifique: «De l'assiette au champ» Montpellier 22 octobre 2009 URL : https://www.agropolis.fr/pdf/assiette-champ-09/maire-assiette-champ.pdf . consulte le 8 / 04 / 2019.

Bourdieu pierre : Esquisse d'une théorie de la pratique. Ed SEUIL, coll. .POINTS ESSAIS, 2000. P 202.

Brahim Bensafia, « l'histoire en mangeant. Du couscous au hamburger » Magazine le Cap Algérie, N°07, de01au 15 septembre2008,PP 22-23.

Carmen Rial, « Le charme fast-foodien ». Revue vibrant v.3 n.2 PP 147 – 178. URL : http://www.vibrant.org.br/downloads/v3n2_rial.pdf

Corbeau Jean-Pierre, « l'exotisme au service de l'égotisme. Nourritures vietnamiennes et métissages des gouts francais » in pratique alimentaires et identité culturelles. Revue les études vietnamiennes. N125 – 126 Hanoi 1997 . PP 323 - 345.

Corbeau Jean-Pierre. « Pour une approche plurielle de notre alimentation ». Revue CHOLE-DOC 104. Novembre - décembre. 2007 P 1. URL : http://doc.hubsante.org/opac/doc_num.php?explnum_id=7932

FISCHLER C. « Le dégoût : un phénomène bio-culturel ». Cah Nutr Diét 1989b, 24 - P:381-384.

FISCHLER C., MASSON E. (s.d.) (2008), Manger : Français, Européens et Américains face à l'alimentation, Odile Jacob cité par Thierry MATHÉ Thomas PILORIN Pascale HÉBEL, du discours nutritionnel aux représentations de l'alimentation. CAHIER DE RECHERCHE N° 252 DÉCEMBRE 2008 p 10 . consulté le 3 mars 2016.URL : http://www.credoc.fr/pdf/Rech/C252.pdf

FROMENTIN، Eugenne : Un été au Sahara، Gallimard, 1951. Paris. pp18 - 19

George -H Mead(2006) L'esprit, le soi et la société . présente par Daniel Céfaï et Louis Quéré .Ed PUF Paris coll. : lien social .

I N S P/Projet Tahina(2017), L'Obésité chez l'adulte de 35 à 70 ans en Algérie .septembre 2010. http://www.sante.dz/insp/tahina.html

INSP (2021) Registre du diabète de type 1 chez les moins de 15 ans dans la wilaya d'ALGER

INSP (2021), Registre du diabète de type 1 chez les moins de 15 ans dans la wilaya d'ALGER

Jean-Pierre Poulain(2011). Sociologies de l'alimentation. Les mangeurs et l'espace social alimentaire. 2e édition . P U F paris 2011.

Khadîdja Mohamed Bouziane, « Gastronomie, le choc des menus » Magazine le Cap Algérie, N°07, de01au 15 septembre2008,P124.

Kilien Stengel(2018), Philosophie et alimentation, La conscience de bien manger. Ed . Ovadia Eds Nice .

Méditerra2007, rapport annuel du CIHEAM (Centre International de Hautes Etudes Agronomiques Méditerranéennes). avril 2007 . pp 05-06.

Morin Edgar, l'esprit du temps cite dans Gloria Awad, « Edgar MORIN (2008), L'esprit du temps », Communication [En ligne], Vol. 29/1 | 2011, mis en ligne le 06 septembre 2013, consulté le 08 avril 2016. URL : http://communication.revues.org/2559

Philippe CARDON et Domingo GARCIA-GARZA,(2016) « L'alimentation : enjeux théoriques et empiriques dans les Amériques », IdeAs [En ligne], 3 | Hiver 2012, mis en ligne le 03 janvier 2013, consulté le 12 mars 2016. URL : http://ideas.revues.org/403.